

بدأ هذا الوضع الراهن المرتقب والمستقر يتغير في الستينيات. اشتعلت توترات الحرب الباردة من جديد عندما تفادى كلا من رئيس الوزراء السوفيتي نيكيتا خروتشوف والرئيس الأمريكي جون كينيدي بصعوبة الصراع في كوبا ومع تصاعد التدخل الأمريكي في فيتنام. على الرغم من هذه البداية غير المشجعة، بحلول نهاية العقد أصبح ما كان في الأساس منظمة قائمة على الدفاع يجسد ظاهرة جديدة: الانفراج وهو تهدئة التوترات بين الكتلة الغربية والشرقية نتيجة القبول على مضض للوضع الراهن. انتقل حلف شمال الأطلسي (الناتو) والمقر الأعلى للقوات المتحالفة في أوروبا خلال هذا العقد بشكل مفاجئ إلى موطن جديد. عزمها على الانسحاب من هيكل القيادة العسكرية المتكاملة لحلف شمال الأطلسي وطالبت بإزالة جميع مقار الحلفاء من الأراضي الفرنسية. أنشئ مقر جديد للمقر الأعلى للقوات المتحالفة في أوروبا في كاستو الواقعة في بلجيكا في آذار عام 1967 وانتقل المقر الرئيسي للناتو إلى بروكسل في تشرين الأول من نفس العام. وبشكل ملحوظ بقيت فرنسا داخل الحلف وأكدت باستمرار على عزمها للوقوف جنباً إلى جنب مع حلفائها في حالة الأعمال العدائية. كما أثبتت فرنسا أنها من بين المساهمين الأكثر قيمة في قوات الحلف خلال عمليات حفظ السلام اللاحقة. كانت المرونة دائماً مفتاح نجاح الناتو وأظهر الانسحاب الفرنسي من هيكل القيادة العسكرية المتكاملة للناتو أن الناتو بإمكانه تقبل وجهات النظر المختلفة بين أعضائه، على عكس حلف وارسو. وللتذكير بهذه النقطة، قاد الاتحاد السوفيتي في آب عام 1968 غزوًا لتشيكوسلوفاكيا وضع نهاية لفترة التحرر السياسي في ذلك البلد عُرف باسم "ربيع براغ". مثل غزوًا مماثلاً لهنغاريا في عام 1956 وقمع عسكري في برلين في عام 1953، أظهرت الإجراءات السوفيتية ما أصبح يعرف باسم عقيدة بريجنيف: بالنظر إلى الاختيار بين السيطرة قصيرة الأمد على الدول العميلة لأوروبا الشرقية والإصلاح السياسي والاقتصادي طويل الأمد، سيختار الاتحاد السوفيتي الحفاظ على سيطرة قصيرة المدى. و ستنتظر نهاية هذه السياسة زعيم سوفيتي مستعد لاختيار الإصلاح على الأمد الطويل. سعت سياسة Ostpolitik (تعني السياسة الشرقية الجديدة) الخاصة بمستشار ألمانيا الغربية، إلى تشجيع الاستقرار الأوروبي من خلال توثيق العلاقات بين أوروبا الشرقية والغربية. سعت استراتيجية الرئيس الأمريكي جون أف. كينيدي المتمثلة في "الرد المرن" إلى استبدال الانقسام المطلق للانتقام الجسم بين السلام أو الحرب النووية الكاملة. اعتمدت الاستجابة المرنة في أعقاب أزمة الصواريخ الكوبية وقد عززت الاستجابة المرنة الموقف الدفاعي التقليدي للناتو من خلال تقديم ردود عسكرية أقل من التبادل النووي الكامل في حالة الصراع. أوصى تقرير قدمه وزير الخارجية البلجيكية، في كانون الأول عام 1967 إلى مجلس شمال الأطلسي بعنوان "المهام المستقبلية للحلف" بأن يكون للناتو مساراً سياسياً يعزز الحوار والانفراج بين الناتو وبلدان حلف وارسو. أصبح دور الناتو ليس مجرد الحفاظ على الوضع الراهن وإنما للمساعدة في تغييره. ساعد تقرير وزير الخارجية البلجيكية، على إرساء الأساس لعقد مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا في عام 1973. بعد ذلك بعامين، إلى التفاوض على وثيقة هلسنكي النهائية. ألزم القانون الموقعين عليه - بما في ذلك الاتحاد السوفيتي وأعضاء حلف وارسو - باحترام الحريات الأساسية لمواطنيهم بما في ذلك حرية الفكر أو الضمير أو الدين أو المعتقد. قلل الحكام السوفييت داخلياً من أهمية هذه البنود في القانون وولوا أهمية أكبر على الاعتراف الغربي بالدور السوفيتي في أوروبا الشرقية. ولكن في النهاية علم السوفييت أنهم ربطوا أنفسهم بأفكار مؤثرة وربما تخريبية. أدى الغزو السوفيتي لأفغانستان عام 1979 والنشر السوفيتي للصواريخ الباليستية SS-20 Sabre في أوروبا إلى توقيف الانفراج. حيث اتخذ الحلفاء قراراً "المسار المزدوج" لنشر صواريخ بيرشينج 2 ذات القدرة النووية وصواريخ كروز الأرضية في أوروبا الغربية مع استمرار المفاوضات مع السوفييت، وذلك لمواجهة النشر السوفيتي. لم يكن من المقرر أن يبدأ النشر حتى عام 1983. يأملون في تحقيق اتفاقية الحد من الأسلحة التي من شأنها أن تلغي الحاجة إلى الأسلحة. عانى أعضاء الناتو من الخلاف الداخلي عندما بدأ الانتشار في عام 1983. بعد صعود ميخائيل جورباتشوف بصفة رئيس وزراء سوفيتي في عام 1985، وقعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي معاهدة القوات النووية متوسطة الأمد (INF) في عام 1987 حيث تقضي القوات على جميع الصواريخ الباليستية وصواريخ كروز النووية والصواريخ الباليستية وذات المدى المتوسط. يعتبر هذا الآن مؤشراً أولياً على أن الحرب الباردة كانت على وشك الانتهاء. شهدت الثمانينيات أيضاً انضمام أول عضو جديد في الناتو منذ عام 1955. انضمت إسبانيا الديمقراطية الجديدة في عام 1982 إلى التحالف عبر الأطلسي. اعتقد معظم المراقبين الدوليين، أن الشيوعية السوفيتية قد خسرت المعركة الفكرية مع الغرب. فكك المنشقون الدعم الأيديولوجي للأنظمة الشيوعية وهي عملية ساعدت في استعادة الأحداث الماضية من خلال التزام الاتحاد السوفيتي الظاهري بمبادئ حقوق الإنسان التي حددها قانون هلسنكي الأخير. وبحلول أواخر الثمانينيات وجدت الحكومة الشيوعية في بولندا نفسها مضطرة للتفاوض مع نقابة العمال المستقلة المضطهدة سابقاً "تضامن" وزعيمها، وسرعان ما بدأ

النشطاء الديمقراطيون الآخرون في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي نفسه في المطالبة بهذه الحقوق بالذات. وفي ذلك الوقت كانت اقتصادات القيادة في حلف وارسو تتفكك. كان الاتحاد السوفيتي ينفق ثلاثة أضعاف ما تنفقه الولايات المتحدة على الدفاع باقتصاد يبلغ ثلث حجمه. إلى السلطة بهدف إجراء إصلاح جذري للنظام الشيوعي. لم يتدخل الاتحاد السوفيتي عندما بدأ نظام ألمانيا الشرقية في الانهيار في عام 1989 مما عكس عقيدة بريجنيف. واختار السوفييت هذه المرة الإصلاح طويل الأمد على سيطرة قصيرة الأمد كانت تتجاوز قدراتهم باستمرار مما أدى إلى انطلاق سلسلة من الأحداث التي أدت إلى تفكك حلف وارسو. بدأ أن سقوط جدار برلين في 9 تشرين الثاني عام 1989 أعلن حقبة جديدة من الأسواق المفتوحة والديمقراطية والسلام استجاب الحلفاء بفرح لا يصدق عندما أطاح المتظاهرون المتشجعون بالحكومات الشيوعية في أوروبا الشرقية. ولكن كانت هناك أيضاً شكوك مخيفة. هل ستكون ألمانيا الموحدة محايدة؟ ماذا سيحدث للأسلحة النووية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق؟ هل ستعلن القومية مرة أخرى السياسة الأوروبية؟ بالنسبة للنااتو، كان السؤال مصيري: هل هناك أي حاجة أخرى للحلف الأطلسي؟ في عام 1991 كما في عام 1949، كان من المقرر أن يكون الناتو حجر الأساس لبنية أمنية أكبر في عموم أوروبا. أسس الحلفاء مجلس تعاون شمال الأطلسي في كانون الأول 1991، والذي أعيدت تسميته إلى مجلس الشراكة الأوروبية الأطلسية في عام 1997. وقد جمع هذا المنتدى الحلفاء مع جيرانهم من أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية وآسيا الوسطى لإجراء مشاورات مشتركة. رأى العديد من هذه البلدان المحررة حديثاً - أو الشركاء - كما أطلق عليهم قريباً - أن العلاقة مع الناتو أساسية لتطلعاتهم الخاصة في الاستقرار والديمقراطية والتكامل الأوروبي. كما امتد التعاون إلى الجنوب. حيث أسس الحلف في عام 1994 الحوار المتوسطي مع ستة بلدان غير أعضاء تقع على البحر المتوسط: مصر وإسرائيل والأردن وموريتانيا والمغرب وتونس وانضمت الجزائر أيضاً في عام 2000. ويسعى هذا الحوار إلى المساهمة في الأمن والاستقرار في منطقة البحر الأبيض المتوسط من خلال تحسين التفاهم المتبادل. لقد أفسح انهيار الشيوعية الطريق أمام صعود القومية والعنف العرقي لا سيما في يوغوسلافيا السابقة. تردد الحلفاء في البداية في التدخل فيما كان يُنظر إليه على أنه حرب أهلية يوغوسلافية. وأصبح ينظر إلى الصراع في وقت لاحق على أنه حرب عدوانية وتطهير عرقي حيث قرر الحلف التحرك. عرض الناتو في البداية دعمه الكامل لجهود الأمم المتحدة لإنهاء جرائم الحرب بما في ذلك العمل العسكري المباشر في شكل حظر بحري. سرعان ما أدى فرض منطقة حظر طيران إلى غارات جوية ضد أسلحة ثقيلة تنتهك قرارات الأمم المتحدة. شن الحلف حملة جوية لمدة تسعة أيام في كانون الأول عام 1995 حيث لعبت دوراً رئيسياً في إنهاء الصراع. نشر الناتو قوة متعددة الجنسيات في كانون الأول من ذلك العام مكونة من 60 ألف جندي، بتفويض من الأمم المتحدة للمساعدة في تنفيذ اتفاقية دايتون للسلام وتهيئة الظروف لتحقيق سلام مستدام ذاتياً. سلم الناتو هذا الدور إلى الاتحاد الأوروبي في عام 2004. أظهرت تجارب الناتو في البوسنة وكوسوفو أن النقاش حول ما إذا كان على الناتو أن يفرض سلاماً أوروبياً كان موضع نقاش: لقد فرضت الأحداث سيطرة الحلف. قبل سقوط جدار برلين، منظمة ثابتة و مجرد وجودها كافياً لردع الاتحاد السوفيتي. بدأ تدخل البلقان تحويل الحلف إلى منظمة أكثر حيوية واستجابة. أختفت عقيدة الحرب الباردة الخاصة بالانتقام النووي وبدلاً منها، التصميم على استخدام القوة التي تم دراستها وتطبيقها بعناية، بعد أن فشلت جميع الوسائل السلمية، جنباً إلى جنب مع الجهود الدبلوماسية والإنسانية لوقف الصراع، إذا لزم الأمر من نطاق شمال الأطلسي التقليدي لحلف شمال الأطلسي. اعتمد الحلف مفهوماً استراتيجياً جديداً يصف أهداف الحلف وأوليواته. تم تصنيف معظم المفاهيم الإستراتيجية السابقة. أصدر الحلف في عام 1991 و لأول مرة مفهوماً غير سري في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي. نص المفهوم الذي أعقب ذلك في عام 1999 على أنه منذ نهاية الحرب الباردة واجه العالم "مخاطر جديدة معقدة على السلام والأمن في منطقة أوروبا والمحيط الأطلسي، بما في ذلك القمع والصراع العرقي والازمة الاقتصادية وانهيار النظام السياسي وانتشار أسلحة الدمار الشامل". أظهرت الهجمات الإرهابية في 11 ايلول 2001 على مركز التجارة العالمي والبنتاغون للحلفاء بأن الاضطرابات السياسية في أجزاء بعيدة من العالم يمكن أن تكون لها عواقب وخيمة في الوطن. استند الناتو ولأول مرة في تاريخه إلى بند الدفاع الجماعي (المادة 5). استخدمت الجهات الفاعلة الرئيسية - في هذه الحالة، جماعة القاعدة الإرهابية - أفغانستان كقاعدة لتصدير عدم الاستقرار إلى العالم الصناعي واستخدمت الطائرات المخطوفة كأسلحة بدائية للدمار الشامل لقتل الآلاف من المدنيين. بما في ذلك تفجيرات اسطنبول في تشرين الثاني عام 2003 والهجوم على نظام قطار ركاب مدريد في 11 اذار عام 2004 ونظام النقل العام في لندن في 7 تموز عام 2005، أن المتطرفين العنيفين مصممون على استهداف السكان المدنيين. في أعقاب هجمات الحادي عشر من ايلول تدخل تحالف من الدول - متضمن العديد من حلفاء الناتو - عسكرياً في أفغانستان في خريف عام 2001.

وكان الهدف من المهمة "عملية الحرية الدائمة" حرمان القاعدة من قاعدة عمليات واحتجاز أكبر عدد ممكن من قادة القاعدة. عقب الإطاحة بنظام طالبان في كانون الأول 2001، أجاز قرار مجلس الأمن رقم 1386 نشر قوة المساعدة الأمنية الدولية (إيساف)، وهي قوة متعددة الأطراف في كابول وحولها للمساعدة في استقرار البلاد وتهيئة الظروف السلام المستدام ذاتياً. تولى الناتو قيادة وتنسيق قوة إيساف في آب عام 2003. وخلال ذلك الوقت واصل الناتو قبول أعضاء جدد وبناء شراكات جديدة. تأسس مجلس الناتو وروسيا في عام 2002 بحيث يمكن للدول الأعضاء في الناتو وروسيا العمل كشركاء متساوين في القضايا الأمنية ذات الاهتمام المشترك. أطلق الحلف في عام 2004 مبادرة اسطنبول للتعاون كوسيلة لتقديم تعاون أمني ثنائي عملي لدول منطقة الشرق الأوسط الأوسع. وأخيراً جلبت جولات التوسيع اللاحقة المزيد من الحلفاء إلى المنظمة - بلغاريا وإستونيا ولاتفيا وليتوانيا ورومانيا وسلوفاكيا وسلوفينيا في عام 2004 وألبانيا وكرواتيا في عام 2009 ومونتينيغرو في عام 2017 ومقدونيا الشمالية في عام 2020 وفنلندا في عام 2023. كما في البوسنة وكوسوفو، أن القوة العسكرية ليست كافية لضمان السلام والاستقرار. لقد أصبح حفظ السلام على الأقل بنفس صعوبة صنع السلام. لقد أصبح حفظ السلام الناجح لا يستلزم مجرد توفير خط أساس للأمن وإنما المساعدة في بناء الحداثة نفسها. هذه المهمة تتجاوز الناتو والحلفاء يعرفون بذلك. الحلف ليس ولا يمكن أن يكون وكالة إعادة إعمار مدنية وإنما يمكن للناتو أن يقدم مساهمة كبيرة على أن يكون جزءاً من استجابة دولية منسقة. التزم الحلف بالتعامل مع "جميع مراحل الأزمة - قبل وأثناء وبعد" - وهو مبدأ شامل ينطوي على دور أكبر للأمن التعاوني. هذه الفكرة هي في صميم "النهج الشامل". يتطلب عدم الاستقرار الجيوسياسي حلول معقدة تجمع بين القوة العسكرية والدبلوماسية واستقرار ما بعد الصراع. يمكن فقط لأوسع تحالف ممكن من الجهات الفاعلة الدولية أن يوفر عناصر الثلاثة. لا يطور الحلف فقط شراكات أمنية مع دول عبر البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الخليج وحتى منطقة المحيط الهادئ، وإنما يصل أيضاً للمنظمات الدولية القرينة والمنظمات غير الحكومية الأخرى التي لديها تفويضات في مجالات مثل المؤسسات - البناء والحوكمة والتنمية وإصلاح القضاء. ومع ذلك فإن القرن الحادي والعشرون لن يتمحور حول بناء السلام. يعد ضم روسيا غير القانوني لشبه جزيرة القرم في عام 2014 وهجومها غير المبرر على أوكرانيا تذكيراً واقعياً بأهمية المهمة الأساسية للناتو: الدفاع الجماعي. إلى جانب الصراع السوري وصعود داعش والإرهاب (وغالباً الإرهاب الوطني)، حقيقة وحشية في العديد من القارات. خلال ذلك الوقت تتصاعد التوترات عندما يسعى المهاجرون إلى اللجوء من الصراع في البلدان التي تعاني من ثقل الصراع العرقي والديني والضغط الديموغرافية وضعف الأداء الاقتصادي. أصبحت الهجمات الإلكترونية أكثر تكراراً وأكثر تدميراً من أي وقت مضى. ينشر معارضو المجتمعات الليبرالية المفتوحة من خلال وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من الوسائل معلومات مضللة ودعاية تسعى إلى تقويض القيم التي لطالما سعى الناتو إلى حمايتها وتعزيزها. فإن تعقيد البيئة الأمنية الحالية يجعل مرونة الناتو تخضع للاختبار مرة أخرى. يواجه الناتو عدداً متزايداً من التهديدات الجديدة في النصف الأول من القرن الحادي والعشرين. يجب أن يكون الناتو مستعداً لمواجهة هذه التحديات، بصفته حجر الأساس للسلام والحرية عبر المحيط الأطلسي. و لذلك وافق قادة الناتو على مفهوم استراتيجي جديد للحلف في قمة مدريد في 29 حزيران 2022، حيث حدد أولويات الناتو ومهامه الأساسية ونهجه للعقد القادم. يصف المفهوم الاستراتيجي لعام 2022 البيئة الأمنية التي تواجه الحلف ويعيد التأكيد على قيمه ويوضح الغرض الرئيسي للناتو المتمثل في ضمان الدفاع الجماعي لحلفائه. كما تحدد المهام الأساسية الثلاث للناتو وهي الردع والدفاع و منع الأزمات وإدارتها والأمن التعاوني.